

مجموعتہ
قصصیتہ



خبايا الحروف

نورھان ممتاز.

خبايا الحروف

"للكتب حكاياتٍ مخفيةٌ ومُخيفة، بين طيات هذا الكتاب ستتعرف على بعض ما سُمح لك به..".

إهداء...

للأرواح الحرة الثائرة
لملائكتنا الصغار الذين سرق العالم
طفولتهم.

إلى فلسطين وسوريا والسودان
عسى نصركم قريب.

مقدمة

أنا وأنت نعلم أن المقدمات لا تُقرأ عزيزي القارئ، لكنني كتبت هذه المقدمة للذين يتوقفون في منتصف الطريق خوفاً من المجهول والفسل. أنا واحدة منكم يبتلعني الخوف. لا أستطيع التقدم خطوة للأمام خوفاً من الفشل. لكنني أحاول أن أنتصر عليه ولو لمرة واحدة؛ لذلك لا تدعوا الخوف يمنعكم من الحياة.

"حتى عندما تكون القراءة مستحيلة، فإن
الاستحواذ على الكتب يخلق حالة من النشوة".
_ إدوارد نيوتن.

ظِلُّ مِنْ حَبْرٍ.

الكتابة خُلقت لمن سلبتهم الحياة
أحببتهم، ومزقت أرواحهم.

2020

برشلونة

الرابعة بعد منتصف الليل، استيقظت بعد نوم ساعتين
وبضع دقائق، رأيت من نافذة حجرتي المظلة على
مباني تعود مائة عام للوراء، تبدو كائن حي يشعر
ويتنفس، صامدة منذ مائة عام وربما أكثر، عاش فيها
الكثير وتحمل في طياتها حكايات لا تنتهي. عندما كنت
صغيرة وددتُ لو أسكن إحداها، وها أنا أحقق حلمي
وأعيش في بيتٍ كان لشخصٍ له قصةٍ مريية؛ همست
بها جدران هذا البيت لي
فكتبتها.

كانت السماء غارقة في اللون الأزرق وبدأ خيط
الصباح يطفو رويدًا رويدًا.

جلست على حافة السرير غارقة في أفكارٍ، ثم
نهضت بتثاقل لأغسل وجهي وأعد فنجان قهوة؛ لا
أستطيع بدأ يومي بدون قهوة، ربما هوس ولكنني حقًا

مغرمةً بها. بدءًا بإعدادها ورائحتها التي تملئ أنفي وصولاً لأول رشفة منها؛ تتغلغل السعادة لقلبي.

ثم شعرت به، ظلّ قابع في زاوية الغرفة لا يظهر منه سوى فمه الباسم ظاهرًا أسنان أنصع من غيمة.

ارتجف قلبي، حاولت أن أتماسك قليلًا وسرتُ تجاه قابس الكهرباء وأضأت الغرفة، لا شيء سوى الفراغ. لكنني متأكدة من رؤيتي له لم أكن أتخيل أبدًا.

نفضت تلك الأفكار عن رأسي؛ حاولت إقناع نفسي أنني أتوهم، واتجهت للحمام في الطابق السفلي، حيث أعيش بمفردي _ بعد أن لقيّ والداي حتفهما في حادث وعمري عشرين عامًا _ ومئات الكتب التي جمعتهما منذ صغري، دائمًا كان والداي ينهراني على إضاعة وقتي مع ترهات، يرون الكتب ترهات، وأنا أراها العالم.

حتى أن والدي ذاتي يوم أحرق كتبي جميعًا. لا أستطيع نسيان ذلك اليوم، مازال عالق بذاكرتي.

شعرتُ يومها بأنني وحدي، وأن العالم ضاق عليّ؛ لا شعور أكثر قسوة من أن تخذل من الأقرب لك.

ومن يومها وأنا أُخبئُ كُتبي لدى صديقتي مارلين.
أحبها كثيرًا، هي الوحيدة التي تقبلت غرابتي _ كما
يراني البعض _ تُخبرني أنني مميزة في عالم مليء
بالعاديين.

ليتها هنا الآن لكنها غادرت أسبانيا مع زوجها منذ ثلاثة
أعوام.

منذ رحيلها حقًا وأنا أشعر بالوحدة، لا أحب شعور
الوحدة أبدًا حتى وأنا بين كُتبي والأشياء التي أحب ثمة
شخص أفقده.

أثناء إعدادي للقهوة سمعتُ حركة في الخارج.
" ربما تكون الرياح"؛ أخبرت نفسي بذلك ولم أصدقها.
أخذتُ فنجان القهوة وصعدت مرة أخرى لغرفتي.

وضعت الفنجان على المكتب المُكدس بِرُزم الورق
المُحبر، وجلست أمام النافذة، كانت الشمس قد أرسلت
خيوطها الذهبية لتبعث الدفء.

للسماء مكانة في قلبي، أنظر لها فأشعر بأنني أتنفس،
تصبح روعي خفيفة وكأنها نبتت لها أجنحة، كما أنها
تلهمني للكتابة.

أخذت رشفة من فنجان القهوة، ثم أمسكت بقلمتي
وشرعت بالكتابة، أعمل هذه الفترة على كتابة روايتي
الأولى.

لم أكن أعلم أن الكتابة صعبة لتلك الدرجة، كنت أظن
أن الكلمات تتدفق كالسيل، لكن لا يحدث هذا معي.

كان هدفي من الكتابة أن أحيا حيواتٍ لن أعيشها في
هذا العالم المُصمت؛ لأن حياة واحدة لا تكفيني.

أحيانًا أكتب لأتذكر. فكتبت وكتبت وأخيرًا بعد عامين
أوشكت على الانتهاء من حبيبتتي، مخطوطتي الأولى.

لكن ما حدث ذلك الصباح سيغير من حياتي للأبد!

مرت الأيام حتى انتهيتُ أخيرًا من الكتابة.

صباح ذلك اليوم ذهبت للعمل في الثامنة صباحًا.

وبعد الانتهاء من العمل بروتينية بحتة تتكرر كل يوم_

عدا يومين الإجازة أذهب فيهما أحيانًا لأكثر مكانًا

يشبهني، البحر كلانا يعاني من اضطراب أمواجه_،

ركبت الحافلة لأعود لمنزلي.

نزلت بالقرب من بيتي ببضع مترات، وعندما إقترب

منه شعرت بأحدٌ ينظر إليّ من الشرفة، نفس الظل

الذي رأيته قبل أسبوع.

بدا كظلٍ متوهج تحت أشعة الشمس الذهبية.

أدرتُ المفتاح في الباب بيدٍ مرتجفة، وأسرعت لغرفتي

لأرى من هذا الذي يطاردني ولماذا؟

لكن عندما صعدت لم أجده. هرب مرة أخرى، ولكن

تلك المرة أخذ معه روايتي التي فنيتُ من أجلها.

لم أتمالك نفسي وسقطت على الأرض باكية أتمتم بكلام

لا معنى له حتى غفوت.

استيقظت عند الثانية عشر، فتحت عيني بتثاقل
ونظرت حولي، كان الظلام فاردًا جناحيه، تحسست
ببطني حتى أنرت الغرفة.

تذكرت ماذا حدث أمس، روايتي غير موجودة، والمتهم
بسرقته هو ظل، هل جننت!

من سيصدقني عندما أخبرهم أنني سُرقت من ظل لا
وجه له!

بحثت في الغرفة عن أي شيء يوصلني لروايتي،
بالطبع لن أتركها هكذا كأنها لم تكن، حتى رأيتُ ظرفًا
أسود بدمغة حمراء، ذكرني بشيء ما...

اقتربت منه ببطء، فتحته بيدين مرتجفتين. لم يحتوي إلا
على ورقة صغيرة خُط عليها:

" تريدان معرفة من أنا؟ ولماذا أخذتُ روايتك؟

ليس بتلك السهولة يا عزيزتي، دعيني ألعب معك قليلًا
لن تستطيعي العثور عليّ لكنني سأجدك.

انتظريني.

م.ج

لم تزدني تلك الحروف إلا خوفًا.
قرأتها مرارًا وتكرارًا، ولم أتوصل لشيء.
قال أنه سيجدني! فليفعل.

يومًا تلو الآخر ولم يظهر ذلك الظل حتى تلك الليلة؛
كانت سماء متوعدة بليلة ماطرة ذات سُحبٍ رمادية
ثقيلة ستخفف حملها الليلة.

أعددت قهوتي وجلست أراقب قطرات المطر التي
بدأت بالتساقط حتى ازداد غزارة مصحوبة بهزيم
الرعد.

"مرحبًا يا حُلوة؛ اشتقتِ إليّ بالطبع، أو بالأحرى
لروايتك!"

نظرت نحو مصدر الصوت الذي بدا وكأنه قادم من
العدم.

رأيته كان جالسًا على حافة الأريكة التي أجلسُ عليها
واضعًا ساقًا على الآخر يرتدي معطفًا أسود طويل

وبنطالاً رماديّ، نحيف بشكل مدهش، وقبعة تخفي وجهه لا يظهر منه سوى فم يبتسم بخبث.

ـ بالتأكيد ليس هو، أنتِ تتوهمين! هذا ما أخبرتُ به نفسي وأنا أنظر له بخوف ودهشة.

ـ نظر في عيني وكأنه أدرك ما أفكر به. قال بصوته الأجش وبنبرة معاتبة:

أنه أنا يا صغيرة، لا تخافي مني لهذه الدرجة، أنا لستُ بذلك الشر الذي كتبتيه عني، نعم أنا الظل الذي تركتبه مُعلقًا على حافة حروفك، ألم أستحق نهاية أفضل، خلقت لي حياة بائسة وجعلتني مني شريراً وفي النهاية أنسى؟

ما أقسى النسيان يا مارجي، أن تلقى بعيداً حيث لا أحد يتذكرك، تسقط في بئر لا نهاية لها وتبقى عالقاً في المنتصف، لا تطول السماء ولا تلمس قدميك الأرض.

حتى أنتِ لم تعرفي من أنا!

لقد رافقت عقلك طوال سنتين، وتنسيني في بضعة أيام.

نظرت له وأنا لا أفهم أي شيء عن ماذا يتحدث هذا الأبله، هل جُننت أما أنني ذهبت لعالم حيث تستيقظ فيه الأرواح القابعة في الكتب! ماذا يحدث؟

تسللت أشعة الشمس من النافذة لتلامس وجهي، فتحتُ عيني ببطيء، في غرفتي على سريري، وروايتي مُلقاة بجانبني. مفتوحة على الصفحة الأخيرة.

كان كل هذا حلم، بل كابوس!!

قلبت في صفحات الرواية حتى وقعت عيني على جملة بحبرٍ أحمر لم يجف:

" لا تنسيني، النسيان يمزق روعي"

م.ج

أسطورة قيّد الكتابة.

"لم تكن النهاية، إنها بداية كل شيء".

م.ج

في إحدى المكتبات، ليلاً؛ بعدما أغلقت أبوابها وخيم الظلام على رفوف الكتب، وقف شخصٌ يصل طوله المترين، رفيع بشكل مبالغ فيه. يحمل بيديه كتاب ويقربه من فمه وكأنه على وشك ابتلاعه.

بعد أسبوع...

في المكتبة نفسها، حيث بعض الكتب المفتوحة والملقاء على الأرض في عشوائية وقف شاب يتحدث مع بعض رجال الشرطة التي كانت من بينهم شرطية تبدو في أواخر العقد الثالث.

يحدث هذا يا سيدي منذ أسبوع، أجد بعض الكتب ملقاه وفارغة من الحروف، الحادثة غريبة وكأن الحروف تتبخر.

في البداية أخفيت الكتب خشية من صاحب المكتبة، أنه شخص قاسي القلب وإذا علم سوف يطردني من العمل؛ وربما لن يصدقني!

لكن الأمر يتكرر هنا وفي مكاتب أخرى، واليوم وجدت هذا الكتاب الملطخ بالحبر (قالها الشاب نفسه وهو يمد الكتاب إلى الشرطي الواقف أمامه ويظهر عليه الاندهاش جلياً، طيلة أربعين عاماً لم يرى جريمة بتلك الغرابة!)

منذ أسبوع داخل جميع المكتبات في نيويورك يجد العمال بها بعض الكتب المُلقاة وخالية من كل حروفها كأنها محيت بالمحاة، حتى عُثر على ذلك الكتاب المُلطخ بالحبر ربما يكون حل ذلك اللغز.

داخل المكتبة جلس رجلٌ نحيف طوله يصل للمترين يرتدي معطف ووشاح حول عنقه _ رغم أن الطقس لم يكن باردًا _ وقفازًا جلدًا أسود كلون المعطف، يبدو كشخصية شارلوك هولمز التي خلقها آرثر كونان لثحظى بشعبية واسعة.

يتظاهر بأنه يتصفح أحد الكتب ولكنه يستمع إلى حديث الشرطي والشاب بإنصات، ويختلس النظر لهم بين حين وآخر.

كانت الشرطية ورغم اهتمامها بحديث الشاب، لكن لفت انتباهها ذلك الرجل الغريب.

اتجهت نحوه.

_ مرحبًا سيدي.

اشاح نظره عن الكتاب والتفت لصاحبة الصوت، نظر لها بعمق وكأنه يتفحصها.

_ بصوتٍ قادم من العدم أجابها: مرحبًا.

شعرتُ برجفة من صوته، ولكن شعور داخلها حسها على استكمال حديثها.

_ هل تأتي إلى هنا كثيرًا؟

دون أن ينظر لها وبدا كأنه يتحدث دون أن يفتح فمه:

_ نعم أتى إلى المكتبة كل أسبوع، أحب القراءة وحبذا داخل المكتبة بين رفوفٍ مليئة بالكتب؛ ورائحة الورق تتغلغل داخل روعي. يا له من شعورٍ رائع. هل تحبين القراءة أيتها الشرطية؟

نظر لها بسخرية وأكمل حديثه: اعتقد لا؛ فليس لديك وقت لتلك التفاهات أليس كذلك؟

كانت سترد عليه رغم استيائها من نبرة السخرية في صوته لولا صوت قائدها.

_ اليزا، هيا سنرحل.

تبعث اليزا بيث قائده، وعلقها منشغل بذلك الغريب.

بعد خروج الشرطة من المكتبة، اتجه الغريب تجاه الشاب الذي كان يتحدث مع الشرطة.

بصوتٍ ودود بعض الشيء:

_ صباح الخير تشارلي، لماذا أرى الشرطة هنا في المكتبة أليس الأمر غريب!

_ غريب! ألم تسمع ما حدث منذ أسبوع سيد ماثيو.

حاول اخفاء توتره :

_ لا لم أسمع لقد كنت في عزلة مع رواية، أنت تعلم عندما أحب رواية أنعزل معها حتى أنتهي منها، ظلت أسبوع في غرفتي لا أفعل شيء سوى القراءة وتناول بعض المخبوزات، آه واحتساء القهوة.

عذرًا أطلت الحديث عن تفاصيل لا تهلك، ها اخبرني ما الذي حدث لتأتي الشرطة لهذا؟

ابتسم تشارلي بعطف:

_ لم استاء يا سيدي بالعكس لكنني مندهش من نهمك للقراءة بهذا الشكل؟

_ نهمي! اختياريك لتلك الكلمة حقًا يصفني شعوري تجاه
القراءة؛ أحيانًا أشعر أنها لعنة وأصابنتني لكني لا
اتوقف عن قراءة أي كتاب يقع تحت يدي. المهم ماذا
حدث أخبرني!

_ منذ أسبوع حدث شيء عجيب، أتيتُ للمكتبة صباحًا
كما أفعل كل يوم. وجدت الكتب ملقاة وفارغة من
الكلمات.

تكرر ذلك لمدة أسبوع هنا ومكتبات أخرى وانتشر
الخبر في نيويورك لذلك أتت الشرطة لتحقق في ذلك.
ما رأيك يا سيدي، هل لديك تفسير لذلك الحدث
الغريب.

صمت ماثيو برهة وكأنه يبحث في عقله عن كلماتٍ
تسعه. ظهرت على وجهه ابتسامة سخرية _ لم
يلاحظها تشارلي _:

_ ما تقوله غريب جدًا التفسير الوحيد لذلك أن هناك
مصاصين للحبر تشارلي.

(اختفت الابتسامة من على شفثيه وأكمل حديثه) يجب
أن أذهب، لدي موعد مع كتاب الآن. وداعًا.

ترك تشارلي في صدمة من رده ورحل.

في إحدى شوارع نيويورك، تحت سماءٍ غائمة.

سار ماثيو بخطى ثابتة تجاه منزله الذي لم يكن سوى غرفة صغيرة أعلى إحدى البنايات التي توحى بأنها عاصرت العالم لقرن وربما أكثر، وهي صامدة.

لم يكون بها سوى فراش ومنضدة صغيرة في زاوية الغرفة عليها آلة صنع القهوة وكروسي كذلك، وأريكة على وشك الفناء، الكثير والكثير من الكتب المرصوفة بعناية شديدة، ولوحة تضم صورة له. وشرفة تطل على السماء.

دخل ماثيو بيته، ارتدى على الأريكة واغضى عينيه.

بعد دقيقتين قام بنزع الوشاح والقفاز والمعطف الثقيل.

بدا أكثر نحافة، برزت عروق يديه وعنقه كانت سوداء مائلة للزرقة.

أخيرًا لقد تحررت.

قالها لنفسه وهو يلقي ثيابه على الأريكة ونهض تجاه الشرفة يطالع نُدف الثلج وهي تتساقط بهدوء خالقة لوحة قطنية ناعمة.

لكنه لم يلاحظ اليزا التي كانت تراقبه منذ خروجه من المكتبة حتى بيته، ظلت هناك خلف باب الغرفة تراقبه من ثقب صغير أتاح لها رؤية محدودة مكنتها من رؤية نحافته الشديدة وبروز عظامه وأوردته السوداء، لكن أكثر ما أثار اندهاشها وكادت أن تسقط مغشياً عليها بسببه!!

لسانه!! يمتلك لسان مثل مجسات الاخطبوط، رآته عندما أخرج لسانه وبيديه أحد الكتب والتهم الكلمات واحدة تلو الأخرى، فركت عينيها من الصدمة وكادت أن تسقط محدثة صوتاً لفت انتباه ماثيو.

لا يوجد وقت للهرب لذلك قررت مواجهته.
رآته يقترب من الباب. تراجع للخلف وقبلها يرتجف.

فتح الباب ببطيء. كان يعلم أنها هنا، منذ أن تحدثت إليه في المكتبة منذ بضع ساعات، وشعر بأنها مهمة لأمره.

نظر لها بلا مبالاة وترك الباب مفتوحًا خلف ظهره.

كانت خائفة منه، ولكن فضولها قادها للدخول.

أوما لها بالجلوس على الكرسي، وكان هو جالسًا على الأريكة بأريحية.

بلا مبالاة بدت واضحة عليه:

ها من أين أبدأ أن تستجوبيني أيتها الشرطية؟

تركت استيائها من سخريته وسألته باهتمام:

كيف؟ كيف تفعل ذلك هل أنت بشر؟

ضحك بكل قوته حتى أنها غضبت بشدة من فعله لماذا يسخر منها لهذا الحد؟

_حَسَنًا. سأجاوب أسألتك أيتها الشرطية، لكن أولًا
اخبريني ما الذي دفعك لمراقبتي؟

_ لا أعرف شعرت بالفضول تجاهك، لهذا راقبتك.

_ أه من الفضول البشر ربما يقودهم نحو الهلاك وهم
مستمعون بذلك.

سأحاول تصديقك يا إيلزا. لنعود للبداية قبل عشرون
عام.

كنت طفلًا منطويًا، وحيدًا، وهذا لم يحزنني إطلاقًا،
اخبرتني أمي أنه منذ يومي الأول في هذا العالم وأنا
طفل هادئ حتى أنهم ظنوا أنني أبكم، وكبرت وزاد
هدوئي وصمتي، كنت شغوفًا بالقصص المصورة منذ
أن كنت في الرابعة كبرت وتعلمت القراءة وزاد نهمي
للقراءة، أقرأ صباحًا ومساءً، وأنا أتناول طعامي، في
المدرسة، في كل وقت كنت على موعد مع كتاب جديد.
لم يعجب الأمر والداي.

لكنهما لم يظهر ا أي اعتراض، المهم بالنسبة لهم؛
سعادتي.

وهكذا مضيت أيامي، ومع كل يوم يزداد شغفي للقراءة
حتى جاءتني فكرة.

لماذا لا أجرب التهام الكلمات لأقرأ كثير من الكتب في
وقت أسرع!!! وفعلت.

الأمر مقزز بعض الشيء لكنني بدأت بلعق الكلمات في
البداية لم يحدث شيء، لكن مع تكراري بدأت الحروف
تذوب في فمي، أصبحت مُدمنًا لطعم الحبر على لساني
اتلذذ بكل كلمة.

وبعد عشرين عام صِرْتُ أنا ما ترينه أمامك.

مدمنًا على امتصاص الحبر من الكتب، ومت الوقت
تغير شكلي ولأنني لا أكل سوى فتات فقل وزني هكذا،
لا أرى أبي وأمي منذ عشر أعوام.

أعيش هنا وحدي، هل تعد تلك جريمة يعاقب عليها لو
هذا رأيك! اعتقليني.

ظلت إليزابيث صامتة، تفكر. لا تستوعب ما يحدث،
فركت عينيها ونظرت له مجددًا.

أنه حقيقة. ما سمعته لم يكن إلا حقيقة.

خرج صوتها مرتبًا:

قصتك غريبة، لم اتخيل في حياتي كلها أنني سأجلس
مع مصاصٍ للحبر أتحاور معه، الأمر برمته جنون.

وأنتِ تعي شعوري جيدًا. في الحقيقة لا استطيع الحكم
عليك بأن ما تفعله جريمة بل مرض ويجب علاجه
منه.

(وبنبرة أكثرًا لطفًا ورقة) ولكن يجب اعتقالك لأنك
المذنب الوحيد.

لن تعاقب أعدك بذلك) نهضت تجاهه ووضعت يديه
بين كفيها) لكن يجب أن تتعالج من هذا الهوس، القراءة
تقتلك.

نظر لها بياس وصمت.

كان يعلم أن اليوم سيأتي عاجلاً أم أجلاً سيأتي. لم يقاوم
آثر الصمت ورحل معها في هدوء بعد أنت طلب منها
أن يكتب خطاب لصديقه الوحيدة.

في بعض الأحيان يكون الصمت هو الخيار الأفضل
من حديث لن يُسمع.

_ ألم تخبرني أنك وحيد دون أصدقاء.

_ نعم لكن بيني وبين مرسيلسيا صداقةً من نوعاً آخر
لم أراها إلا ثلاثين يوماً، بعض الصداقات تظل قوية
حتى لو فرقها المسافات.

وعدته بمساعدته، وفعلت. أخذ للمصحة العقلية، ظل
وحيداً في غرفة مطلية بالأبيض، بها شرفة ذات
قضبان معدنية، لم يُزج به في السجن ولكن حدث
الأسوأ، لا كتب لا قهوة، لا حياة، وهي لم تأتِ تركته
وحده حتى جف من النسيان.

أسرى الكتب.

نشعر، نتألم، نُحب ونكره؛ لذلك عاملنا برفق وإلا
سنأتي بك لجحيم من الورق، ستتنفسُ الكلمات
التي تجاهلتها، أيها الجاهل.

__ كتابُ أحمر قابع بإحدى
الرفوف بمفرده.

داخل مكتبة قديمة في سيئول، تقع في قبو أحد البنايات.
نُقش على بابها الخشبي من الخارج:

" تُحب كتاب وتتمنى لو أن تغوص بداخله، وتصبح
فردًا من شخصياته ! هُنا ستتحقق أحلامك، حتى لو
كانت دربًا من الخيال".

رائحة الكتب تتغلغل رئتيك، تشعر بأنك انتقلت عبر
فجوة زمنية لحقبة تاريخية مضت عليها مئات السنين.
صغيرة من الداخل بها بعض الرفوف من الكتب ربما
لا تتجاوز مئتين كتاب، يعملُ بها كهلاً تجاوز الثمانين،
فنى عمره من أجل الكتب شغفه الوحيد.

خلف أحد رفوف الكتب يقبع بابٌ سري لعالم غرقت
فيه الأرواح داخل الكتب.

ربما بإرادتهم، أو أن الكتب إبتلعتهم فقط لأن حظهم
أوقع هذا الكتاب بأيديهم.

كتبٌ مميزة ربما لا تستطيع تمييزها عن أي كتاب
للوهلة الأولى، لكن وبمجرد لمسها ستشعر بروحك
تتحرر وتطوف لعالمٍ آخر لن تراه سوى في أحلامك.

في الغالب تلك الكتب هي من تختار قارئها، لكن
قليلون من يعثرون عليه، ربما محض صدفة!!

الظلام سيد الليالي الغامضة، تحت سماء سيئول
الساحرة المتلألئة بالنجوم.

ضوءٌ خافت يظهر من إحدى النوافذ، أمٌ بجوار ابنتها
ذات الثماني أعوام.

_ ألن تكفي يا أمي عن قص تلك الحكاية؟ لقد مللت
منها.

ثم أنني لا أصدق أن الكتب لها أرواحٌ مثلنا وتتنفس،
أي عقل يصدق ذلك يا أمي وتلك المكتبة التي تتحدثين
عنها ليست سوى أوهام داخل عقلك.

بدا الحزن على وجه الأم من عدم تصديق ابنتها لها،
قالت بياس:

_ لا تصدقين أمك يا يونا! حسنًا لا تضايقي نفسك
سأذهب وترهاتي للجحيم، حتى والدك رحل وتركني
لأنه يراني مجنونة، وأنتِ مثله. لا أحد يصدقني، لكن
يكفي أنني مؤمنة بذلك. والأيام سوف تثبت لك أن ما
أقوله هو الحقيقة.

نهضت الأم وتركت ابنتها وحيدة.

تأفت يونا ثم أغمضت عينيها وغرقت في النوم.



بعد عشرة أعوام.

السماء مضيئة بقمرٍ مكتمل، وبعض الغيوم الرمادية المتناثرة على صفحة السماء.

جلست يونا تتصفح موقع إلكتروني على هاتفها الجوال. ثم تركته من يديها بملل واتجهت للمطبخ؛ لتعد عشاءها التي لا تستطيع إعداد سواه.

منذ سنتين وهي تعيش وحدها، اختفت أمها فجأة. استيقظت يونا من نومها ولم تجدها في البيت، لم تذهب للمدرسة في ذلك اليوم وظلت تنتظر أمها ولكنها لم تأتي. ولأنهم يعيشون بمفردهم اخبرت الشرطة للبحث عنها.

لكن لم يتم العثور عليها ولم تجد لها أثر كأنها تبخرت؛ جميع ثيابها في الخزانة حتى كتبها في مكانها؛ عدا كتابٍ واحد كان مفتوحًا ومُلقى على فراش أمها.

منذ ذلك اليوم والكوابيس تطاردها، في الحقيقة الكتب من تطاردها، لذلك جمعت كل كتب أمها واحرقتها. تمقت الكتب، وتلك الخيالات التي كانت تعيش فيها أمها.

حتى والدها لم يتحمل الحياة مع امرأة غارقة في حب الكتب، تعيش في عالم من الأساطير؛ كان زواجهما تقليدياً لذلك لم يتعرف عليها كلياً. كانت جميلة ومنتقفة فوافق عليها. ما كان يريد هو أسرة هادئة فقط.

لكن بعد الزواج بشهر اكتشف هوس زوجته بالقراءة. لا تتوقف عن الحديث عن الكتب، وتلك المكتبة السحرية التي زارتها وهي في الثامنة عشر وجلبت منها كتاباً ذو غلافٍ مخملي أحمر قاتم كلون الدم، لا عنوان له.

وأنها تستطيع الحديث معه.

تأكد من أنه تزوج مجنونة، رحل، تاركاً زوجته تحمل طفلته في أحشائها.

أفاقت يونا من ذكرياتها على صوت آلة طهي الأرز.

تناولت عشاءها. دخلت غرفتها وألقت نفسها على الفراش وغرقت في النوم.

تجري في الظلام، تنادي بكل ما أوتيت من خوف، لا أحد يسمعها، تجري ولا تتوقف.

حتى تسقط ويلتئمها كتاب أحمر ضخم ذو أنياب سوداء.

تستيقظ لاهثة، تتلأأ قطرات العرق على جبينها، يراودها الكابوس نفسه منذ اختفاء أمها.

تخشى الكتب وتكرهها.

حاولت النوم مرة أخرى لكنها لم تستطيع.

حاولت البحث عن أي شيء تضيع به الوقت، أثناء بحثها في الصندوق التي كانت تحتفظ به أمها في خزانة ثيابها. الكتاب نفسه الذي يطاردها في أحلامها.

تذكرت أنها من وضعت هذا الكتاب في الصندوق.

"كيف نسيْتُ حُرثَ هذا الملعون مع باقي الكتب" :
قالت هذا لنفسها وهي تُلقِي الصندوق من يديها بذعر،
ظننت أنها تتوهم فألقت نظرة داخل الصندوق مرة
أخرى.

نعم أنها لا تتخيل الكتاب الأحمر ذو الأنياب السوداء
كان معها في البيت نفسه. لكنه بدا كأبي كتابٍ آخر
بدون أنياب، لمستته بأناملها بوجلٍ.

شعرت بالكتاب يهتز تحت أصابعها. تحرك وحده وكأن
هناك يدًا خفية تحركه.

شهقت من صدمتها! الكتاب يتحرك وحده أمامها تنفتح
صفحاته دون أن تلمسه. ما لبثت تستوعب ما يحدث
حتى سمعت صوت غمغمة من الكتاب. هذا ما كان
ينقصها أن يتحدث!

خرج صوته عميقًا وكأنه كهلاً تخطى المائة عام:
أصبحت _ لا أعلم كيف أنتِ ابنة يوهانا لا تشبهينها
البتة.

أمك أمنت بالكتب لذلك، كما أمنت أنا بها منذ أن
وضعت أناملها على غلافي، لمستُ حبها للقراءة لم
تكن

كأي شخصٍ آخر لذلك تركتها تحملني معها، فتحت لها
صفحاتي لتغوص بعالمي

و لأنك ابنتها لا استطيع ايدائك لكن يجب أن أخذك
معي في رحلة. أنتِ لا تصدقين أننا أحياء لنا أرواح
وأنا سوف أريك ذلك بعينيكِ.

الكتب ليست وحوش يا عزيزتي.

كانت خائفة يرتجف جسدها، لكن ليس بيدها حيلة
أومأت على مضض، لقد افتقدت أمها وأملت أن تعثر
عليها في ذلك المكان.

— حسناً المسي الصفحة الأولى وسوف ننتقل فوراً.

اغمضت عينيها ومدت يديها ببطء ولمست صفحته
الأولى.

واختفت.

أصبحت أخف. شعرت بأنها تحلق كالريشة، حتى
لامست قدمها الأرض.

فتحت عينيها ببطء، رفوف من الكتب تكاد تلامس
السماء تعلوا قبة بلورية.

دارت عينيها في المكان تستكشف. شعرت بالدوار
فاقترب لأول أريكة رأتها للجلوس. سمعت صوته
يحدثها:

_مرحبًا بك في عالم الكتب يا عزيزتي، جئتُ بكِ هنا
لتختاري كتابًا وسوف تنتقلين لعالمه، وهذا الأمر لا
يحدث إلا للميزين فقط، تخيلي أن المئات من يتوقوا لما
أنتِ بصدد فعله الآن؟

بغضب حاولت السيطرة عليه:

اسمعي أيها الكتاب الأحمر!! حسناً للكتب أرواح
وتتنفس وأشياء من تلك القبيل، ما دخلي بذلك أريد
العودة لبيتي. تبًا لكل ذلك!!!

أطلق الكتاب ضحكة صمت أذنيها ثم وبصوتٍ يخلو
من أي ود:

هل تسخرين منا! حسناً. كنت أناملك بلطف فقط من
أجل يوهانا لكن الآن لن تري مني أي رحمة، وكتابك
أنا من سيختاره وأريني كيف ستهربين!!

أختفي الكتاب من أمامها، وظلت هي بمفردها ترتعد
أوصالها خوفاً، وتتنظر حولها بذعر. وفي داخلها تلعن
الكتب ومن يكتبها.

بعد مرور خمس وأربعون دقيقة.

ظهر الكتاب مرة أخرى من العدم وأمرها بالوقف
والذهاب لتلك المنضدة التي كانت في زاوية بين رفوف
الكتب.

تقدمت ببطء حتى وصلت لها كانت خالية إلا من كتاب
أسود جلده غليظ.
كتب على غلافه:

"ليلة في حياتي"

لا تعرف شيء عن ما يطوي هذا الكتاب بصفحاته،
لكن الفضول دفعها لتجرب.
لمست الكتاب واختفت.

بعض النهايات، تكون بداية لحكايات أخرى لا تنتهي.
ونحن لم ننتهي منك بعد يا عزيزي، أم أنك سئمت منا!
_مارجريت.

ليلة في حياتي.

"بعض الغرباء يكونون طوق نجاة"

١٩٥٤

برشلونة.

في حي بايرو غوتيكو_ أروع أحياء برشلونة نسبة
لتراث البيوت الذي لا يظهر سوى به وكاتدرائية
برشلونة العظيمة_ كان ملازماً لكائنات الليل،
المنبوذين؛ أولئك الذين لا يظهرون إلا تحت جنح
الظلام.

في أحد البيوت التي ومع اقترابك منك تفوح رائحة
الهلاك، يتقدمه تمثالاً أسود بقرنين.

حيث تعيش مارسيليسيا؛ فتاة ذات وجه بريء هذا ما
تشعر به بمجرد رؤيتها ولكن خلف تلك البراءة تُخفي
شخصٌ أسوأ من الهلاك، روحٌ مظلمة غادرها النور
ذات ليلة ولن يعود، أو ربما سيزيل عنه الغبار شخصٌ
ما.

تسكن وحدها منذ أن فقدت أهلها في الحرب الأهلية، ثم انتقلت لأحد الملاجئ حتى سن الثامنة عشر، ولأنها كانت متفوقة رغم جانبها المظلم وعزلتها عن الجميع حصلت على منحة لكلية الطب في جامعة السوربون بباريس. قضت أعوام الدراسة في عزلة تامة عن الجميع

تحضر محاضرتها ثم تعود لسكن الطالبات الذي عاشت به طوال تلك الفترة دون الحديث لأحد إلا إلقاء التحية على زميلاتها بالسكن_ اللاتي يطلقن عليها غريبة الأطوار_ ولكنها لم تهتم لأي من تعليقاتهم، ولا نظراتهم المُرتابة منها.

بعد إتمامها الدراسة عادت مرة أخرى لبرشلونة، علمت في إحدى المستشفيات.

تقضى ساعات النهار في العمل ثم تعود لبيتها_ التي كانت تعيش به مع والديها.

رغم أنها تعيش بمفردها في هذا المنزل الكبير، لكنها تفضل المكوث في غرفتها ذات الطلاء الأسود، والفرش المعدني والكثير من اللوحات الدموية_ التي

بدأت في رسمها في الخامسة عشر، لذلك وجد
العنكبوت طريقه وخيم على أثاث المنزل.
دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

لقد انتهت من رسمتها للتو، نظرت للوحة وارتسمت
على شفيتها ابتسامة توحى بلذة الانتصار.

"حسنًا لنرى من هي ضحية الليلة" هذا ما قالت له لنفسها
وهي ترتدي فستانًا أسود بالكاد يصل لركبتيها
ومعطف صوفي في نفس طوله.

أطلقت العنان لشعرها الأسود، بعد أن انتهت نظرت
لنفسها في المرآة بإعجاب شديد وألقت قبلة لنفسها في
الهواء.

ثم خرجت ولوحتها بيديها.

لقد بدأت ليلتنا للتو.

الجو كان باردًا تلك الليلة والسماء ممتلئة بالغيوم،
والقمر مختبئٌ خجلاً خلفها.

سارت مارسيليسيا تتغنج مصدرة صوتٍ بكعب
حذاءها، تدور بعينها في الأرجاء، باحثة عن ضحيتها
لليلة، كان الشارع خالي إلا من شخصٍ واحد.

وقعت عينها عليه. شابٌ طويل يجلس على إحدى
المقاعد، يرتدي معطفًا بُني وبنطالًا نفس لونه، يديه
اليمنى في جيب معطفه واليسرى يقرب بها سيجار من
فاه.

اقترب منه حتى أصبحت أمامه.

_ هل لي بسيجار؟

نظر الشاب لصاحبة الصوت؛ الذي جذبته من أول
حرف. نظر لها مفتونًا بجمالها.

_ ها... طبعًا.

وأخرج علبة فضية من جيب بنطاله، ومدّها إليها.
فتحتها وأخرجت وضعتها بين شفتيها الغارقة في
أحمر شفاه توتّي اللون.

تبادلا أطراف الحديث ثم نرعت الغلاف عن لوحتها.

وقالت بصوتها الأنثوي الناعم

_ ما رأيك بتلك اللوحة دافيد؟

بصوتٍ يشوبه الخوف :

_ من رسم تلك اللوحة؟

بدا عليها الاستياء:

_ أنا . ألم تعجبك اللوحة لقد بذلتُ فيها جهدًا كبيرًا!!

كانت اللوحة تضم رجلًا مُلقى على الأرض وغارقًا في
دمائه، وخنجرًا فضي مطعونًا في قلبه ومن خلفه سماءً
غارقة في لونٍ أحمر قاتم.

شعر دافيد بالاختناق عندما نظر لتلك اللوحة؛ فالرجل
الغارق في دماؤه بدا شبيهًا له ، وفي المكان نفسه الذي
يقف فيه مع مارسيليسيا.

_ يجب أن تكون فخورًا لأنك ستموت على يد فتاة جميلة مثلي دافيد.

قالتها مارسيليسيا بصوتٍ مبحوح أشبه بفحيح الأفعى والابتسامة لم تفارق شفثيها.

وقبل أن يهم دافيد بالهرب، كان الخنجر في قلبه.

نظرت في عينيه وقالت بلامبالاة:

رحلة سعيدة للجحيم يا عزيزي.

واختفت من أمامه في لمح البصر، خَرَّ دافيد على الأرض، حاول طلب المساعدة لكن ما من أحد، لم يكن إلا الظلام ونُدف الثلج التي بدأت تتساقط وجرس الكاتدرائية التي أعلن أن الساعة أصبحت الثانية صباحًا.

سارت مارسيليسيا وعلى شفقتها ابتسامة تتم عن
الشعور باللذة وعندما أصبحت أمام منزلها وجدت
ظرفًا بني بجوار التمثال الضخم.

التقطته بيديها.

كُتب عليه:

ماثيو جيلبريت.

نيويورك.

__ أه ماثيو، افتقدتُك كثيرًا أيها المجنون.

كان ماثيو هو صديقها الوحيد، تعرفت عليه في زيارتها
لنيويورك، سافرت لأمریکا بغرض الهروب والاختفاء
لبعض الوقت.

قابلها ماثيو أمام البيت الذي يسكن فيه، كانت تبحث
عن منزل تعيش فيه شهر لا أكثر.

توسط لها عند صاحبة البيت، عاشت مارسيليسيا في
الشقة التي تقع تحت الغرفة التي يعيش فيها ماثيو.

لم تعلق على نحف ماثيو، أصبحوا رفقة يقضون الوقت على سطح ذلك البيت، أفصحت مارسيليسيا عن سرها، ورغبتها في القتل التي تزداد سرها مع الوقت، أخبرها ماثيو عن إيمانه للحبر.

جمعتهم غرابتهم وأصبحوا أفضل رفقة، لكن مارسيليسيا لم تكن تنوي البقاء في أمريكا للأبد، هي تحب برشلونة ولا تستطيع العيش إلا تحت سمائها. لذلك كان الفراق سيد الموقف.

لم يعلق ماثيو عندما أخبرته أنا راحلة؛ كان يعلم أن أمثالهم لا يقدر لهم سوى العيش بمفردهم، ودعها ووعدا أنه سيرسل لها دائماً وهي وعدته بذلك أيضاً. ألقت اللوحة على الفراش وجلست لتقرأ خطاب ماثيو.

" عزيزتي الصغيرة ماري "

اشتقتُ لرؤيتك كثيرًا، لكن عندما يصلك ذلك الخطاب
لن أكون في عالم الأحياء، أشعر بالنهاية تقترب أشم
رائحتها قريبة مني، لا تغضبي من هذا الحديث الآن.
فقط كتبتُ لك لأقول لك أنكِ رائعة يا عزيزتي وأتمنى
أن يجد النور طريقك، أعلم أنك لا ترضين عما تفعلينه
كُفي عن ذلك، تحرري من شرقة الظلام.
أفتقدك.

وإياك والمجيء هنا، لن يفيد بشيء. فقط ابقِ أمانة من
أجلي.
ماتيو.

لم تستطع منع دموعها من الانهيار؛ لم تبكِ هكذا منذ وفاة والداها.

نعم ماثيو لم يكذب هي ليست راضية عن ما تفعله لكن روحها البيضاء فُقدت منذ تلك الليلة التي رأت فيها أمها وأبيها غارقين في دمائهم وأماهم رجلٌ بيديه خنجر فضيٍّ وعلى شفثيه ضحكة مرعبة، كانت مختبئة حتى لا يراها.

كانت تقتل لتبرد النار الملتهبة في صدرها لكنها ورغم ذلك لم تستطع التحرر من الخوف الذي يقيدها.

٢٠٢٤

سيئول

مكتبة نقش على بابها الخشبي من الخارج:

" تُحب كتاب وتتمنى لو أن تغوص بداخله، وتصبح فردًا من شخصياته ! هُنا ستتحقق أحلامك، حتى لو كانت دربًا من الخيال".

خلف جدرانها المليئة برفوف الكتب.

يونا غارقة في دموعها، وهي تشهق محدثة الكتاب الأحمر:

ماذا حدث لماثيو أرجوك أعدني يجب أن انقذه.
أصدر الكتاب ضحكة وقال بصوت به بعض العطف:
غريبٌ أمرك كنتِ لا تؤمنين بنا منذ ساعات فقط!!

أجابته يونا ولم تتوقف عن البكاء:

آمنت بك منذ اللحظة التي استيقظتُ فيها في جسد
مارسيليسيا، أرجوك أعدني.

صمت الكتب برهة ثم تحدث: ألا تريدان رؤية يوهانا،
أمك؟

_ حقًا بإمكانني رؤيتها؟

_ نعم بإمكانك ذلك، عليك فقط تكرير ما فعلته مع ذلك
الكتاب الأزرق.

نظرت يونا للكتاب الموضوع أمامها.
نقش عليه بخطٍ رفيع:

"إيفاجولين".

_ أشعر بأنني رأيت هذا الاسم من قبل!

_ ربما!

لمست الصفحة الأولى واختفت مع الريح التي ستحملها
لعالم ليس بعالمنا.

خطاب الوداع.

أكره لحظات الوداع، خصوصاً تلك اللحظات التي
أودع فيها شخصاً كان جزءاً من روعي ذات يوم.

برشلونة

الحي القوطي

الثانية عشر صباحًا..

أحب السير ليلاً خاصةً في شوارع برشلونة الساحرة،
والتأمل في البيوت الأثرية البديعة، تعود بي للوراء
حيث أزمنة مضت ولكن آثارها باقية، تهمس لي
جدرانها بحكايات دافئة وأخرى تبكي قلبي.

أغلقت دفترتي، وغرقتُ في أفكارٍ، مضت سنتين على
تلك الليلة التي رأيتُ فيها ظلًا هاربًا من نسج كلماتي،
ماتيو.

أخبرني أن لا أنساه. شعرت وقتها بغصة في حلقي؛
لأنني شعرت أنني يومًا ما سأصبح منسيةً مثله.

لا أحد يستحق أن يُنسى ويصبح رماذاً في ذاكرة
الجميع.

لذلك غيرت نهاية الكتاب، أرسلتُ إليه صديقتي
مارسيليسيا هربته من المصحة العقلية التي كانت له

سجنًا، أتت به هنا لبرشلونة حيث بيتها القريب من
كاتدرائية برشلونة.

وهو نفسه البيت الذي أعيش به منذ خمسة أعوام.
كان غارقة في العتمة منذ ثلاثين عام، عندما زرته
للمرة الأولى شعرت بأنه ينتظرنى؛ ليقص عليّ
أسراره.

كان مُلهمي لكتابة روايتي الأولى، رافقني في كل
أوقاتي، خوفي، سعادتي، حزني.

بعد أن عادت مارسيليسيا لبرشلونة مع ماثيو، توقفت
عن قتل الرجال، كان ماثيو خير صديق لها، لم يحتاج
كلاهما إلا يدٍ تزيح الظلام عن المكشوفة.

كلاهما وجد نوره، وأنا ما زلت غارقة في العتمة.
نحقق بعض أحلامنا على الورق ربما يأتي اليوم الذي
تلمسها أيدينا.

بعد أن انتهيت من الكتابة، بكيت لم استطيع أن
أودعهم، لم يكونوا مجرد حروف على ورق، كانوا أنا،

أنا التي تريد أن تتحرر من مخاوفها فسردها حروفٍ
وكلمات.

لا صديق لي سوى القلم والورقة وبعض النجوم، ذات
يومًا سوف أصبح إحداها.

_مارجريت.

أغلقت الكتاب الذي كان بيديها، وعينيها غارقة في
دموع تبدو كالبور تحت ضوء القمر الذي ينسل من
شرفتها.

مسحت دموعها بأناملها.

_أنا أيضًا لن أنساكِ يا مارجريت.

في عالم الحبر والورق لا يوجد رحيل، منذ أن
تخطو قدميك في هذا العالم، ستغرق في محيط من
الحكايات التي لا تنتهي، يفنى الكتاب، والحروف
باقية

لتتناقلها أجيال خلف أجيال.

مواقع التواصل الاجتماعي للكاتب:

Instagram:

<https://instagram.com/nardin992?igshid=NzZIODBkYWE4Ng==>

Facebook:

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100090805472828>

خبايا الحروف

"ففي عالم الحبر والورق لا يوجد رحيل، منذ أن تخطو
قدميك في هذا العالم، ستغرق في محيط من الحكايات التي
لا تنتهي، يفنى الكتاب، والحروف باقية
لتنقلها أجيال خلف أجيال".